بين عـالم الآداب والفنون وعـالم الكائنات الحيـة ، وإذا جـاز لنا أن نفـيـد من العلوم المختلفة في ميدان تفسير الآداب والفنون ، فلا ينبغي أن ننقل قواعد هذا العلوم إلى المجالات الأدبية ونطبقها تطبيقاً جبرياً يشوه الأدب والفن ويلحقهما بدائرة بعيدة عن طبيعتهما . وما من شك في أن هذا الإتجاه كان واقعاً تحت تأثير الإتجاهات العلمية في القرن التاسع عشر ، ولم يكن فهماً خاصاً للأدب بذاته .

كـما ترفض الربط القسري الآخر بربط تطور الأجناس الأدبيـة بعامل التطور الإقتصادي للمـجتمع ، وهو التطور الذي يصبح فيه الإنسـان بكل قدراته المتفردة تابعاً للعجلة المادية للحركة الإقتصادية .

إن نظرية الأدب الإسـلامي تؤمن بوجـاهة القـول بربط تطور الأجناس الأدبية واستحداث بعضـها ، بل وموت بعضها الأخر ، تؤمن بربط هذا بالنظم الإجتماعية التي ترفض ضرورة استحـداث أو انقراض بعض الأنواع الأدبيـة . فالرواية مـثلاً ، مـاكـان لهـا أن تكون بدون ولادة المجتـمع المستـقـر الذي يحتـاج إلى مطبعـة وقـراء ومستوى من التعليم والصحافة ، وهو أمر يختلف عن البيئة الصحراوية البدوية المتنقلة التي لاتساعد على نشوء هذا النوع من الأجناس الأدبية . ولكن هذا شيء ، وجعل الجنس الأدبي ظلاً للحياة الإقتصادية مباشرة شيء آخر ، وهو خاضع لنظرية فلسـفية يرفض الإسلام منطلقـاتها ، لأنهـا لاتنظر للإنسـان إلا على أنه أداة خاضـعة لقوى خارجة عن إرادته ، ولاتنظر إلى أكثر من حاجاته المادية الحيوانية ، بعيداً عن أشواقه الروحية وطاقاته الإنسانية الخاصة .

وعلى الرغم من وجاهة القول بعنصر العبقرية الفردية في استحداث بعض الأجناس الأدبية ، فإنه لاينبغي أخذه منعزلاً عن الظروف الإجتماعية العامة في عصر من العصـور . إن هذه العبـقـرية تنتج ضـمن ظرف حضـاري مـعين ، بمعنى أن هناك محيطاً (اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ونفسياً) يتحرك خلاله الأديب ، ويستجيب لمؤثراته . وربمايكون للعقـيدة الدينية أو الفلسـفيـة دور بارز في طبيـعة هذا التحرك